فى دوامة لاتنتهى ، وتحقيقات لا أول لها ولا أخر ، وكشفت التحقيقات عن الحقيقة ، كلبة المأمور ، ونفوذ اليانكى الذى وصل اليه من خلالها ، وكميات اللحم التى كان يستولى عليها من المطبخ ، وأرغفة الخبز التى كان يلهفها من المخبز ، وارهابه للحراس والمساجين على السواء .

المهم أن المأمور لم تهتز فيه شعرة لكل هذا الذى سمعه فقد كان على علم بكل التفاصيل ومن قبل أن يبدأ التحقيق . ولكن الذى جعل المأمور يفقد صوابه تماما . هو ماشهد به الشهود ، أن اليانكى هو الذى كسر ساق الكلبة وليس الولد المشلول !

وهكذا دخلت فرقة من حراس السجن ذات صباح زنزانة اليانكى لتجردها من كل شىء ، ولتطبق اللائحة عليها . فلم تترك فى الزنزانة إلا بطانية واحدة ، فيها من الخروق أكثر مما فيها من القماش . واحتج اليانكى بأنه مسجون درجة اولى ، وهى الدرجة التى اكتسبها من طول ما عاش خلف الاسوار ولكن احتجاجاته كلها ذهبت ادراج الرياح .

وتطبقا لنص اللائحة التى وضعت فى عصر الخديو اسماعيل ، أمروا بتخزين اليانكى ، وهو تعبير يطلق على المساجين الذين لا عمل لهم ، ومن ثم ينبغى أن يلزموا الزنزانة وأن تغلق عليهم فيما عدا ساعة واحدة خلال النهار ،

وأدرك اليانكى أنه سقط فى بئر لاقرار لها ، وأن السجن الحقيقى قد بدأ الآن ، فلم يكن اليانكى كغيره من السجناء . فهو بلا أهل ولا أصدقاء ، وهو يأكل عيشه بعرق جبينه ، أو بعرق ذكائه ، أو بعرق انتهازيته ، أو بعرق شطارته ، أو بعرق ضميره ، المهم أن جزءا فيه لابد أن يعرق لكى يأكل عيشه داخل الاسوار .

انه لايذكر أبدا أنه استدعى للزيارة كغيره من النزلاء فهو حتى قبل السجن كان قد انقطع عن زيارة حى المناخ حيث يقطن اخوه ؟ وكان أحيانا يلتقى فى بورسعيد بأحد أقاربه صدفة ، فيصافحه كما يصافح عابر سبيل ، ثم يتركه ويمضى الى حال سبيله . وكان يباهى الاخرين ، بان أباه هو البحر وأهله هم البحارة . وزوجاته هن كل النساء اللواتى يتسكعن على أرصفة أى ميناء !

ولجأ اليانكى الخبير بأساليب السجناء الى طريق الشكاوى . فانهالت العرائض على مصلحة السجون تتهم المأمور والادارة بكل رذيلة ، وبعضها كان حقائق ، والبعض الاخر كان من نسج الخيال . ولكن الادارة المدربة ذات الخبرة العريقة فى عالم السجون ، كانت تعرف كيف تسدد هذه الشكاوى . بالشكل القانونى . وبالطريقة التى تجعل الادارة فوق مستوى الشبهات ! .

وضاقت الاحوال باليانكى تماما ، فأعلن الاضراب عن الطعام . وفى العادة يترك المسجون المضرب عن الطعام ثلاثة ايام دون اهتمام ، فاذا واصل اضرابه